الفصل التاسع والعشرون

قراءة في الروايات المتصلة بقوله تعالى

"وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَك الْأَقْرَبِينَ"

قال مركز الأبحاث العقائدية، في معرض الاستدلال لنظرية الشيعة الإمامية الإثني عشرية:

"قوله ﷺ: في علي عليه السلام: (إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا). نقله بعين لفظه المتقي الهندي في (كنز العمال ١٣: ١٢٨، ١٣٣، ١٤٩٥) عن ابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي نعيم وقد ذكر تصحيح ابن جرير له، وقد أخرج هذا الحديث أحمد في (مسنده ١١١٠١) بسند صحيح بلفظ: (ويكون خليفتي في أهلي)، وابن عساكر في (تاريخ دمشق ٤٢: ٤٨)، بلفظ: (ويكون خليفتي ووصي من بعدي)". (انتهى النقل)

المصدر:

http://www.aqaed.com/faq/print.php?sid=75&qid=3551

وورد الحديث في سياقه الموسع في كتاب "حديث الدار" للسيد علي الحسيني الميلاني، وهو منشور في المكتبة العقائدية لمركز الأبحاث العقائدية، ورابطه في شبكة الإنترنت:

http://aqaed.info/?p=shialib&n=144&u=1835#pop03

يقول الميلاني ناقلا من تفسير البغوي المتوفى سنة ٥١٠ هـ ، يقول البغوي :

روى محمّد بن إسحاق، عن عبد الغفار بن القاسم، عن المنهال بن عمرو، عن عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطّلب، عن عبدالله بن عباس ، عن علي بن أبي طالب قال: "لمّا نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الاَقْرَبِينَ) دعاني رسول الله ﷺ فقال : يا علي ، إنّ الله يأمرني أن أُنذر عشيرتي الأقربين، فضقت بذلك ذرعاً، وعرفت أنّي متى أباديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره ، فصمتُّ عليها ، حتّى جاءني جبرئيل فقال لي : يا محمّد إلاّ تفعل ما تؤمر يعذّبك ربّك ، فاصنع لنا صاعاً من طعام ، واجعل عليه رِجل شاة ، واملأ لنا عسّاً من لبن ، ثمّ اجمع لي بني عبد المطّلب حتّى أُبلّغهم ما أُمرت به .

ففعلت ما أمرني به ، ثمّ دعوتهم له ، وهم يومئذ أربعون رجلاً ، يزيدون رجلاً أو ينقصونه ، فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب .

فلمّا اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعته ، فجئتهم به ، فلمّا وضعته ، تناول رسول الله ﷺ جذبة من اللحم، فشقّها بأسنانه ، ثمّ ألقاها في نواحي الصفحة ، ثمّ قال : خذوا باسم الله ، فأكل القوم حتّى

ما لهم بشيء حاجة ، وأيم الله إنْ كان الرجل الواحد منهم ليأكل مثل ما قدمت لجميعهم .

ثمّ قال: اسقِ القوم ، فجئتهم بذلك العس فشربوا حتّى رووا جميعاً، وأيم الله إنْ كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله . فلمّا أراد رسول الله أن يكلّمهم بدره أبو لهب فقال : سحركم صاحبكم ، فتفرّق القوم ولم يكلّمهم رسول الله ﷺ .

فقال في الغد : يا علي ، إنّ هذا الرجل قد سبقني إلى ما سمعت من القول ، فتفرّق القوم قبل أنْ أكلّمهم ، فأعد لنا من الطعام مثل ما صنعت ثمّ اجمعهم ، ففعلت ثمّ جمعت ، فدعاني بالطعام فقرّبته ، ففعل كما فعل بالأمس ، فأكلوا وشربوا ، ثمّ تكلّم رسول الله (ﷺ) فقال :

يا بني عبد المطّلب ، إنّي قد جئتكم بخيري الدنيا والآخرة ، وقد أمرني الله تعالى أنْ أدعوكم إليه ، فأيّكم يؤازرني على أمري هذا ويكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم ؟

فأحجم القوم عنها جميعاً .

فقلت وأنا أحدثهم سنّاً : يا نبيّ الله ، أكون وزيرك عليه .

قال : فأخذ برقبتي وقال : إنّ هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم ، فاسمعوا له وأطيعوا .

فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب : قد أمرك أنْ تسمع لعلي وتطيع". (انتهى نقل الرواية من كتاب الميلاني).

تفسير آية "وأنذر عشيرتك الاقربين" في صحيح البخاري

عدت إلى صحيح البخاري فوجدت هاتين الروايتين في تفسير الآية:

الأولى: حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمش قال حدثني عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: يا بني فهر يا بني عدي لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش فقال أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك إلا صدقا قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبًّا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا فنزلت: "تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ".

الثانية: حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ قال: يا معشر قريش، أو كلمة نحوها، اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا. يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا، ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا، ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئا". (تابعه أصبغ عن ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب)

ثم عدت إلى تفسير ابن كثير فوجدته يثبت روايتي البخاري، ورواية أخرى مشابهة عند مسلم وفي مسند أحمد.

ابن كثير يطعن في راوية حديث "إن هذا أخي ووصيي وخليفتي"

ووجدته أيضا يورد الرواية التي نقلها مركز الأبحاث العقائدية، ثم يردها مخبراً أن عبد الغفار بن قاسم أبي مريم الذي تفرد بروايتها شيعي، وبأنه رجل لا يوثق بحديثه، متروك كذاب، اتهمه علي المديني وغيره بوضع الحديث وضعفه الأئمة رحمهم الله.

هذا هو رأي ابن كثير في راوي الرواية التي يحتج بها مركز الأبحاث العقائدية والسيد علي الحسيني الميلاني.

وهناك معلومة أخرى مهمة. الرواية التي يحتج بها مركز الأبحاث العقائدية والميلاني تبدأ بمحمد بن إسحاق الذي سمع من عبد الغفار المطعون في صدقه.

ومحمد بن إسحاق له رواية أخرى يناقض مضمونها مضمون الرواية التي يحتج بها علماء الشيعة ويقولون إنها صحيحة، رواية "إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا".

هذا هو نص الرواية:

قال ابن إسحاق: وحدثني الزهري أنه (أي النبي ﷺ) أتى بني عامر بن صعصعة، فدعاهم إلى الله عز وجل، وعرض عليهم نفسه. فقال له رجل منهم يقال له بيحرة بن فراس: والله لو أني أخذت هذا

الفتى من قريش لأكلت به العرب. ثم قال: أريت إن نحن بايعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا هذا الأمر من بعدك؟ قال: الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء. قال: فقال له: أَفَتُهدَف نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا! لا حاجة لنا بأمرك. فأبوا عليه". (المصدر: سيرة ابن هشام. بيروت: دار الجيل. بدون تاريخ. الجزء الثاني. ص ٥١)

هذا هو ابن إسحاق ينقل عن الزهري مباشرة أن رسول الله ﷺ أوضح أن أمر الحكم من بعده لله تعالى يضعه حيث يشاء، وهو القول الموافق لبقية النصوص الصحيحة الواضحة من كتاب الله والسنة الصحيحة، وللعقل، ولمجريات التاريخ فعلياً.

فهل نقبل بهذه الرواية من محمد بن إسحاق، والروايات الصحيحة المؤيدة لها، أم نقبل رواية أخرى مصدرها شخص مطعون في صدقه وأمانته العلمية؟

هذه بعض الأسباب التي تفسر لماذا لم يعتبر علماء السنة الذين اطلعوا على هذا الحديث أنه دليل على صحة نظرية الشيعة الإمامية.

وكما بينت سابقاً، لو كان الحديث صحيحاً ومعتمداً وشائعاً في عهد النبي صلى الله عليه لكان قد ذكر ولو مرة واحدة من قبل المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة، ولو كان صحيحاً لكان حجة كبرى ملزمة أيام الخلاف الشديد بين المسلمين وقت خلافة سيدنا علي رضي الله عنه، وقد كان أحرى أن يستدل به سيدنا علي على السيدة عائشة وعلى

طلحة والزبير رضي الله عنهم، وكان أحرى أن يحتج به سيدنا علي على الذين خالفوه من أهل الشام وعلى أنصاره الذين خرجوا عنه بعد صفين وسموا بالخوارج.

وفي رأيي أن أموراً ضخمة في أصول الدين، تؤدي إلى فرقة المسلمين مدى الدهر، لا يمكن الاحتجاج لها برواية ينفرد بها شخص متهم بالانحياز والزيادة في نص الحديث؟ ما الذي يدفعنا للتمسك بها وبين أيدينا روايات أخرى مخالفة لها وردت عن مصادر موثوقة؟